العنوان:	الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الاموي
المصدر:	العرب
الناشر:	دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
المؤلف الرئيسي:	الهلابي، عبدالعزيز بن صالح
المجلد/العدد:	ع7,8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	صفر / ايار
الصفحات:	314 - 329
رقم MD:	197299
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	تجارة الرقيق، الاسلام، التجارة في الاسلام، مكة المكرمة، العصر الاموي، الاسواق التجارية، الحرم المكي، القوافل التجارية، الاقتصاد الاسلامي، التاريخ الاسلامي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/197299

الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الأموي

عُـــرِفَتْ الأسواق في الجزيرة العربية، قبل الإسلام، واشتُهر منها، بصفة خاصة، الأسواق الموسمية، التي كانت تقام في عدد من البلدان والأماكن، في أوقـــات محـــددة ومتعاقبة من كل سنة، ويصل استمرار بعضها إلى الشهر، ومـــنها أســـواق عكاظ وذو المجاز ودومة الجندل والمُشقّر وصَحَار. وتقدّم مصـــادرنا معـــلومات طيّـــبة عنها قامت عليها عدد من الدّراسات تقصّت نشاطاها المتنوّعة. أما هذا البحث فموضوعه أسواق بلدة مكة –شرّفها الله– بصفتها مرفقًا هامًّا من مرافقها، ولن يعنى بالجانب التّجاري إلاّ بقدر ما يخدم موضـــوع الـــبحث. وغنيّ عن القول: إنّ مكّة قامت في الأصل على وجود بيت الله الحرام فيها، واكتسبت أهميتها بسببه، إلا أن التجارة تمثل، منذ أول نشأة مكة، العامل الثاني في أهميتها ومصدر رزق أهلها، سواء كان ذلك عن طريق اشتغال أهلها بالتجارة مع القادمين إلى بلدهم لزيارة بيت الله، أو عن طـــريق الخدمـــات المتـــنوعة التي كانوا يقدمونها لتجارة القوافل العابرة في منطقتهم، في أول الأمر، ثم تسلموا إدارة تجارة القوافل وتصريفها بين اليمن والشام، بعد ذالك.

وتتمـــثل أسواق مكة التي تدار فيها تجارتها الداخلية بسوق **الحَزْوَة**، وهو ســـوقها الرئيس، قالت عنه المصادر: "كانت سوق مكة القديم، وكان فيه مجتمع الناس للبيع والشراء"(١)، ويقع ملاصقًا للحرم ودار الندوة(٢). من هنا نـــدرك أن معظـــم فعاليّات المدينة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كانت تتمّ في هذه المنطقة، وسوق الحزوة كان متنوع التجارات والخدمات، وبـــدأ شـــأنه يضـــعف في الإسلام بسبب قيام أسواق تجارية أخرى بديلة،

وبسبب ضم أرضه إلى توسعات المسجد الحرام المتعاقبة، وتم ضم ما تبقى من أرضـــه في توسعة الخليفة العباسي المهدي، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجـــري[٣]. ومـــن أسواق مكة، قبل الإسلام، **سوق الكثيب**[٤]، الذي لا نعـــرف عن نشاطه شيئًا، ومنها **سوق الأبطح**[٥]، **وسوق الليل**[٦]، **وسوق ساعة**[٧]. وقد استمر نشاط هذه الأسواق في الإسلام، وكان سوق الأبطح متنوع التجارات، وتحط فيه بعض القوافل القادمة من الشام[٨]، ومنها **سوق ما بين الدارين**، وهو رحبة بين دار أبي سفيان ودار ابنه حنظلة. وكانت إذا قدمـــت العِـــير (القوافـــل) مِن السراة والطائف وغير ذالك، تحمل الحنطة والحـــبوب والسمن والعسل، تحطّ في هذه الرّحبة، وتباع فيها. واستمرّ هذا السوق إلى أن تمّ تحويل أرضه إلى دور في عهد معاوية بن أبي سفيان[٩]. أما **قَرْن القَرَظ**، وموقعه بأسفل (جبلي) أجيادين (الكبير والصغير)، فكان يبتاع الناس فيه ثمر نبات القَرَظ[١٠]، ويستخدم هذا الثمر لدبغ الجلود.

وهـــناك **دور مخصّصة** للتجارة، مثل **دار صفوان بن أميّة** الجمحي، في جنوبي مكة (المسفلة) التي كانت تسمى دار مصر؛ فإذا أتته القافلة، أنيخت أمـــام تلك الدار، ويأتيه الناس فيشترون منه المتاع، ولا تجوز تجارته إلى غير مصـــر. ونسبت الدار إلى ما كان يباع فيها ثم بضائع ومنتجات مصر[١١]؛ ومثل **دار السايب بن السايب** المخزومي، الذي كان شريكًا للنبي صلى الله عـــليه وسلم في التجارة، قبل البعثة، وكانت تجارتهما في هذه الدار[١٢]. وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على شريكه السايب، بعد أن اعتنق الإسلام، فقـــال: "نِعْـــم الشّـــريك السّايب، لا مشاري ولا مماري ولا صخّاب في الأسواق"[١٣].

وبحكم تشابه قريش وثقيف في عاداتهم ونشاطاتهم، يمكن الاستنتاج من أحـــد بنود معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم مع ثقيف وهو: "وإن السوق والـــبيع بأفنية البيوت"[١٤]، أن **بعض أفنية البيوت بمكة** ربما كانت تتمّ فيها نشـــاطات تجارية، خاصة إذا عرفنا قلة الأسواق بمكة قبل الإسلام، مقارنة بحجـــم الـــتجارة التي يديرها المكّيون. وكان من مجالس أهل مكة، في ذلك الـــزمن، **فناء دار أم أنمار القارية**؛ وقد وصفت هذه المرأة بأنها كانت برزة بين النساء، وقد اشتهرت بأنها تبيع وتشتري[١٥].

وأحد الأدلة على **حجم التجارة المكية** أن السبي، في غزوة حُنَيْن، (ذي القعـــدة سنة ٨هـــ) التي حدثت بعد فتح مكة مباشرة، بلغ ستة آلاف. ولما قـــدم الرســـول صلى الله عليه وسلم مكة، أمر بُسْر بن سفيان الخزاعي أن يشتريَ لهم مِن مكة ثيابًا فيكسوهم؛ فاشترى بسر ثياب المقعد، وهي ضرب من برود هجر، فكسا السّبي كلهم[١٦].

وأحدث الإسلام تأثيرًا بالغًا في **تجارة مكة الخارجية**؛ إذ فقدت مركزها المـــتميز في الـــتجارة العالميـــة، لأن ذالك المركز كان قائمًا على الإفادة من الصّـــراع العـــنيف بـــين الروم والفرس؛ فكانت باستقلالها، ومهارة أهلها، وموقعها الأمين، مركزًا لنقل السلع الواردة عن طريق المحيط الهندي، وكذلك نقـــل الســـلع بـــين الدولتين المتخاصمتين. فلما جاء الإسلام وكوّن دولته الواســـعة، وأزال الحدود الفاصلة القديمة، وأحلّ السلم والأمن مكان الحرب والتّقاطع، وأنمى مراكز جديدة للاستهلاك والنشاط الاقتصادي، حوّل بعض أهل مكة نشاطهم إلى هذه المراكز الجديدة[١٧].

وممـــا لا شـــك فيه أنّ تضاؤل تجارة مكة الخارجية أسهم بقدر كبير في ازديـــاد **حجـــم التجارة الداخلية**؛ إذ أخذ المكّيون يوظّفون معظم، أو كل

رؤوس أموالهـــم فيها. ونعتقد أن من العوامل التي أسهمت، أيضًا، في نشأة الأســـواق، وتطـــوّر وظائفهـــا، توفر الثروات والسيولة النقدية في الدولة الإســـلامية، نتـــيجة الفتوحات والغنائم، وتوفر الفرص الاستثمارية الكثيرة والمتـــنوعة، وما صاحب ذالك من انتشار العادات الاستهلاكية، في المأكل والملبس والزينة وغيرها. وقد أخذ مجتمع مكة بنصيبه من كل ذالك، وتنفرد مكـــة –شرّفها الله– عن غيرها من المدن، في الجزيرة العربية، بقدوم أعداد كـــبيرة من المسلمين إليها، في كل عام، لأداء شعائر الحج. ويقوم، في هذا الموسم، سوق كبير، تشارك فيه كل بلدان وسكان الدولة الإسلامية بمنتجاها وأموالها؛ وهذا تغيّر عما كان عليه الحال قبل الإسلام؛ إذ كان الحج مقصورًا على بعض سكان الجزيرة العربية.

ومـــن نتائج الفتوحات وقيام الدولة الإسلامية، **وفود أعداد كبيرة من المسلمين الجدد** من أهالي البلاد المفتوحة إلى مكة واستيطاها. بعضهم كانوا بصفتهم موالي، أول الأمر، ثم تحوّلوا إلى سادة، بعد ذلك. وقد أسهم هاؤلاء بفعالية في كل أوجه النشاط الاقتصادي، وبخاصة النشاط الحرفي. وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب طموح هاؤلاء، وجدّهم في التجارة. يقول أحدهم، وهو سِيرِين (والد محمد بن سيرين): "شهدت مع عمر بن الخطاب –رضوان الله عليه– [صلاة] المغرب، فأتى عليّ ومعي رُزَيْمة لي، فقال: ما هذا معك؟ فقلت: رزيمة لي أقوم في هذا السوق فأشتري وأبيع. فقال: يا معشر قريش، لا يغلبنّكم هذا وأصحابه على التجارة..."(١٨).

ذكرنا، فيما سبق، أن بعض الأسواق، في مكة، يعود وجودها إلى زمن ما قبل الإسلام، لكن أكثر أسواق مكة نشأت في الإسلام، إلا أننا لا نعرف بدقـــة مـــتى نشأت. ويمكن الاستنتاج أن بعضها يعود إلى **العهد الراشدي**،

حيث أسهم الخليفة عمر بن الخطاب في بعض تنظيمات الأسواق؛ فيُذكر أنه أخرج الرقيق والدواب من مكة[19] إلى أطرافها. ويمكن أن يكون الشاب المكي عبدالله بن عارم بن كريز (ت ٥٧هـ)، الذي ولاه الخليفة عثمان بن عفان على البصرة سنة ٢٩هـ هو الذي اتخذ السوق فيها؛ فقد اشترى دورًا وهدمها، وجعلها سوقًا[20]، متأثرًا بما كان في مكة من أسواق.

ومن شبه المؤكد أن الأسواق في مكة أنشئت في أزمنة متفاوتة، حسب الحاجة والتطور، ولم تنشأ وفق تخطيط مسبق. يدل على ذلك **تحويل عدد من الدُّور إلى مجمّعات تجارية** وحرفية؛ وهذا التطور له عيوبه، فلا تكون التجارات والحرف المتشابهة، في بعض الأحيان، متجاورة؛ فنلاحظ مثلاً أنّ سوق الحدّادين يجاور سوق الفاكهة وسوق الرّطب[21]، كما نلاحظ تجاور سوق البزّازين مع الصّيارفة[22]. ولسنا على يقين إنْ كان سوق الخيّاطين يجاور سوق البزّازين، وإن كان تجار الجلود، أو أصحاب الأدم يجاورون سوق الخرّازين، أو سوق الحذّائين.

يحفظ لنا الأزرقي[23] نصًّا قيّمًا يبيّن **كيفية نشأة بعض الأسواق:** "وكانت للخطاب بن نفيل دار صارت لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه... وكان لها وجهان: وجه على ما بين الصفا والمروة، ووجه على فجّ ما بين الدارين، فهدمهما عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في خلافته، وجعلها رحبة ومناخًا للحاج، تصدق بها على المسلمين. وقد بقيت منها حوانيت فيها أصحاب الأدم، فسمعت جدّي أحمد بن محمد يذكر أن تلك الحوانيت، أيضًا، رحبة من هذه الرحبة، ثم كانت مقاعد يكون فيها قوم يبيعون في مقاعدهم، وفي المقاعد صناديق يكون فيها متاعهم بالليل. وكانت الصناديق بلصق الجدر، ثم صارت تلك المقاعد خيامًا بالجريد والسعف، فلبثت تلك

الخيـــام ما شاء الله؛ وجعلوا يبنونها باللّبِن النّيء وكُسار الآجرّ، حتى صارت بيوتًـــا صـــغارًا، يكـــرونها من أصحاب المقاعد من أصحاب الأدم بالدنانير الكثيرة. فجاءهم قوم من ولد عمر بن الخطاب من المدينة، فخاصموا أولئك القـــوم فيهـــا إلى قـــاض من قضاة أهل مكة، فقضى بها للعمرين، وأعطى أصحاب المقاعد قيمة ما بنوا، فصارت حوانيت تكرى من أصحاب الأدم... إلى اليوم".

ومن دراسة مواضع الأسواق، يمكن القول: إنّ معظم التجارات والحِرف تتركّز حول المسجد الحرام؛ فأبوابه التي تزيد عن عشرين، في جهاته الأربع، كـــلها تفضي إلى أسواق. ولعل من أهم التغيرات التي حدثت في الإسلام، بالنســـبة للأسواق بمكة، هو **نشوء الأسواق المتخصّصة**، مع استمرار بعض الأسواق الشاملة، مثل سوق الأبطح وسوق الليل. ويعود نشوؤها إلى توسع التجارة وكثرة السلع والخدمات وتنوعها التي لم تكن متوافرة قبل الإسلام، وليـــس إلى جهل المكيين بها؛ فقد عرفوا الأسواق المتخصصة في الحِيرة[٢٤]، وربمـــا في بُصرى ودمشق وغزة التي كانوا يرتادونها بتجارتهم بكثرة، لكنّ طـــبيعة تجـــارتهم وطـــبيعة الحياة في مكة، في ذالك الزمن لم تكن تستدعي التخصـــص في الأسواق.وظاهرة التخصص في الأسواق برزت في المدن التي أنشـــأها المسلمون بعد الفتح. ولا نعرف إن كانت مكة سبقت هذه المدن وأثـــرت في تخطيطها في هذا المجال، كما أثرت في غيره من مرافق المدينة، أم أنها وهذه المدن الجديدة تأثرت جميعًا بالمدن القديمة التي فتحها المسلمون.

أمّا مِن حيث **التكوين المعماري للأسواق** وتوزيعها في مكة، فتنقسم إلى ثلاث فئات:

الأولى: الحوانيـــت المتراصـــة، والمصطفة على جوانب الشوارع؛ وأكثر أسواق مكة من هذه الفئة.

الفـــئة الثانية: ما كان على هيئة مجمعات متخصصة، مثل دار الحنّاطين، الـــتي كانت في الأصل دارًا لعمرو بن عثمان بن عفان، ثم تحولت إلى سوق للحـــنطة، خلال القرن الأول الهجري[٢٥]. ونعتقد أن إطلاق الحنطة عليها، مِن باب التغليب؛ فهي سوق للحبوب، من حنطة وشعير وذرة ودخن ودقيق هـــذه الحـــبوب وغيرهـــا؛ وســـوق العطّارين الذي كان، في الأصل، دارًا للصـــحابي عتـــبة بـــن غزوان، ثم ليعلى بن منية، وكان يقع بفناء المسجد الحـــرام[٢٦]. وسوق البزازين في دار السّايب بن أبي السايب المخزومي، التي يقـــال لها دار سقيفة[٢٧]، والتي كانت فيها تجارة النبي صلى الله عليه وسلم والسَّـــايب، عـــند ظهور الإسلام، ودار الحدّادين التي بسوق الليل، وكانت تســـمَّى، قـــبل أن تكون سوقًا للحدّادين، دار مال الله، حيث يكون فيها المرضـــى وطعام مال الله[٢٨]؛ وسوق الحذّائين، في دار ابن عاصم[٢٩]؛ وتجار الخرز، في دار حنظلة بن أبي سفيان[٣٠]، وأصحاب الشَّوحَط، أو القوّاسين، في دار آل قارظ القاريين[٣١]؛ والدقّاقون، في دار الحكم بن أبي العاص[٣٢].

ومـــن الدلالات التي يمكن استنتاجها من وجود هذه المجمعات التجارية والحـــرفية، أنـــه كان هناك، بصفة عامة، ازدهار اقتصادي، في معظم أزمنة العهدين الراشدي والأموي؛ حيث توسعت التجارة والحرف، وكثر العاملون فيهما، إضافة إلى قلة الأراضي في الوسط التجاري، في محيط المسجد الحرام؛ فاستدعى ذالك أن يستثمر أصحاب الرِّباع، أو الدور دورهم، سواء كانت عامـــرة، أو خـــربة، فحوّلوها إلى حوانيت، نظرًا لما تدرّه من عوائد مالية كبيرة.

ومن المحتمل أن بعض المجمعات أنشئ، أصلاً، لغرض الاستثمار التجاري، وأن تسـميتها بـالدار ينبغي ألا يفهم أنها عمرت لأجل السكنى فقط، ولا يسـتبعد أن مما شجع بعض الملاك على تحويل دورهم إلى مجمعات تجارية أو حرفية، إضافة إلى عوائدها المادية، رغبتهم في التوسع في المساكن، في المناطق الـنائية نسبيًّا عن المسجد الحرام، قلب المنطقة التجارية، لأن أسعار الأراضي أرخص، ومن ثم فستكون مساحة الدور أكبر.

ومـن المـرجح أنه كان في هذه المجمعات طبقات علوية (علالي)، ذات مداخل مستقلة، تستخدم للسكن، فيسكنها بعض العاملين في هذه الأسواق، أو بعـض الذيـن يرتبطون معها بتجارة، مثل أولئك الذين يجلبون البضائع إليها، أو يشترون منها، بغرض النقل والتصدير إلى أماكن أخرى.

ومن المتوقع أنها كانت تتوفر فيها باحات كبيرة، أو صغيرة مكشوفة في وسطها، وظُلل، ومرافق مثل جرار ماء الشرب، والميضاءات؛ وقد أشير إلى بـركة الحنّاطين[٣٣] مثلاً، كما تسهل حراستها، والمحافظة على الأمن فيها، لأن مداخلها محدودة، ويمكن السيطرة عليها، وربما لإغلاقها ليلاً.

ذكـرت بعض المصادر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان بنى، في عهـده (٤١-٦٠هـ)، مجمّعين تجاريين، في المدينة، وضرب عليهما الخراج[٣٤]. أما الخليفة هشام بن عبدالملك، فجعل في عهده (١٠٥-١٢٥هـ) سوق المدينة كلـه مجمعاً واحدًا يملكه، حوانيت في الأسفل وعلالي تكرى للسكنى[٣٥]. وليـس لديـنا ما يفيد أن هذين الخليفتين، أو غيرهما من خلفاء بني أمية قام ببناء أسواقٍ مماثلة بمكة ليستثمرها.

ولا شـك أن تجمع أصحاب كل تجارة، أو حرفة، في سوق واحد، له مـنافع كـثيرة، مـنها أنه يسهل مهمة الإشراف الحكومي عليها، بوساطة

صاحب السوق، أو المحتسب، أو غيرهما؛ ومنها أنه يسهل على أصحاب السوق، وعلى عملائهم الجالبين، أو زبائنهم المشترين، الكثير من الأمور المتعلقة بتجارتهم، أو حرفتهم؛ ومنها أن التاجر الجشع لا يستطيع أن يرفع سلعته خشية منافسة جيرانه له بالسلعة نفسها، وأن المشتري يستطيع أن ينتقي أجود ما يحتاج إليه بسعر مناسب، في وقت قصير، لتجاور الحوانيت المعروضة فيها البضائع المتشابهة[٣٦]؛ ومنها أنه يسهل على أصحاب السوق تنظيم أنفسهم، والتعاون فيما بينهم، لحماية مصالحهم، والدفاع عنها، واختيار أمير، أو شيخ لهم، يحكّمونه في خلافاتهم، ويمثلهم أمام السلطة، وأمام غيرهم.

والفئة الثالثة: من الأسواق هي تلك التي تستدعي طبيعتها أن تكون بعيدة عن وسط المدينة، للتسهيل على المشتغلين فيها، ولما تسببه من تضييق على الناس، لو كانت تجارتها في وسط المدينة، مثل تجارة المواشي، التي كانت أسواقها موزعة في مواقع مختلفة من مكة؛ فسوق الظَّهر (الإبل) في شماليها بقرب قرن مصقلة[٣٧]، وسوق الغنم يقع شمالاً عنه بقليل في مواجهة شعب ابن عامر[٣٨]، وسوق البقر في جنوبي مكة، في أصل جبل خليفة[٣٩] (جبل قلعة أجياد). وذكر أن مكان الحمارين، عند ردم بني جمح[٤٠]؛ لكن يبدو أن وجود أصحاب الحمير كان لتقديم خدمات النقل والتحميل، ولا يمنع أنه كان يتم هنا، أيضًا، بيع وشراء للحمير.

وسوق الحطب، بجنوبي (أسفل) مكة الغربي[٤١]، في مكان يسمى، في الوقت الحاضر، الهَجْلَة. ومن المحتمل أنه كان يباع في هذا السوق الأعلاف، مثل التّبْن، والحشيش المجفّف، ونبات القَرَظ وثمره لدبغ الجلود؛ وربما الأخشاب والعسيب، ونبات الإذخر، لاستخدامها في بناء الدور، وفي

الوقـــود. وكـــان في هذا السوق بِرْكة[٤٢]، لخدمة أصحاب السوق، وربما جمالهم أيضًا.

وهناك ما تستدعي طبيعته أن يكون نائيًا بعض الشيء عن قلب المدينة، مـــثل المجـــازر، لمـــا يترتب على الذبح من دماء، ومخلفات مؤذية بمناظرها وروائحها، رغم حاجة الناس اليومية إليها. وقد يعالج ذلك عن طريق الذبح، في منطقة نائية، ثم يتم نقل الذبائح إلى الحوانيت، للتيسير على الزبائن. وكان بمكـــة مجـــزرتان أحدهما بالمعلاة، شمالي مكة، وتسمى مجزرة أبي دب[٤٣]، والأخـــرى مجـــزرة مكة السّفلى، بشعب الليل[٤٤]؛ ويظهر أن حصل تغيّر لمواضـــع مجـــازر مكة، خلال القرن الأول الهجري؛ إذ ذكر زقاق الجزارين مقابل رحبة عمر بن الخطاب[٤٥] وأنّ موضع الجزّارين عند دار أم هانئ[٤٦]، وأنّ ســـوق الجـــزارين الأول في موضع دار الإمارة[٤٧]؛ والمرجح أن هذه الإشارات تقصد مكانًا واحدًا.

أما الدّباغة وما ينبعث منها من روائح كريهة، تؤذي كل مَن في الجوار، فقـــد اجتمع بعض العاملين بها، في دار خاصة، في أسفل (جنوبي) مكة، هي دار صـــفوان بن أمية الجمحي[٤٨]، التي كانت تسمى دار مصر، عند ظهور الإسلام، ولا نعرف إن كانت لهم مجمعات أخرى، غير هذه الدار.

أمـــا القصـــارون، الذين يقومون بغسل الثياب وصبغها، فقد ذكر أنهم كانوا في دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان من آلاتهم التي يستخدمونها الميـــاجن[٤٩]؛ كمـــا ذكر، أيضًا، أنهم كانوا في أصل جبل أبي قبيس، وهو مكـــان ملائم لتوفر الماء فيه[٥٠]. وليس من الواضح إن كانت دار الوليد في أصل جبل أبي قبيس، أم أنه كان لهم مكانان، أم أنهم انتقلوا من أحد المكانين إلى الآخر.

تجارة الرقيق:

وبقيت تجارة تختلف عن التجارات وأنواع الأسواق التي ذكرناها، وتشترك معها كلها في الوقت نفسه، وهي **تجارة الرقيق**. وعلى الرغم من أن قراءة التاريخ المكي تعطي الانطباع بأنها كانت تجارة واسعة، إلا أن إشارات المصادر إليها مقتضبة؛ ومن أقدم أسواقها، في مكة، دار العباس، التي بسوق الليل، و"كان موضعها في قديم الدهر سوقًا يباع فيه الرقيق"(٥١).وللرقيق سوق آخر عند أصل جبل أبي قبيس بجوار فاضح(٥٢) ولا يستبعد أن هذا السوق اتخذ بديلاً عن سوق الرقيق الذي كان بدار العباس، الذي أشارت إليه بعض المصادر بأن الخليفة عمر بن الخطاب (أخرج الرقيق والدوابّ مِن مكة)(٥٣) إلى أطرافها، وكان في مكة بعض الدور الخاصة بالرقيق، ذُكر منها (دار الزنج) لأنه كان فيها رقيق زنج لابن الزبير(٥٤)، و(دار العلوج) لخالد ابن العاص بن هشام المخزومي، بمجتمع أجيادين كان فيها علوج له(٥٥).

ومن الأدلة على حجم أسواق الرقيق أن هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ) كلف واليه على مكة أن يشتري له مائتي عبد زنجي، مع زوجاتهم، ليعملوا بمزارع أنشأها في المعمل(٥٦)، بمنطقة بيشة. إضافة إلى ذلك، فقد اشتهر عدد من المكيين بتدريب الجواري الحسان، وتثقيفهن، وتعليمهن الشعر والغناء؛ وكنّ يُبَعْن بأعلى الأثمان للخلفاء والأمراء وأصحاب الجاه والثراء، في الأمصار الإسلامية؛ كما برز من الرقيق المكي أشهر المغنيين في العصر الأموي(٥٧).

ومما يلاحظ على المعلومات التي أمدتنا بها مصادر التاريخ المكي عن أسواق مكة، أنها لا تخلو من **بعض الإشكالات اليسيرة**، منها ما يتعلق بأسمائها؛ فعلى سبيل المثال تذكر أسماء سوق الحذّائين(٥٨)، وزقاق

الحذّائين[59] ورَبع الحذّائين[60]، والحذّائين[61]. وواضح أنها كلها تعني شيئًا واحدًا، ويطلق على أحد أبواب الحرم باب السمّانين[62]. لكننا لا نجد ذكرًا لسوق السمّانين، مع أننا نجد زقاق أصحاب الشيرق[63] (الشيرج)، وهو زيت السّمسم؛ والمرجح أن السّمن والوَدَك وزيوت الطعام، مثل الشيرج وزيت الزيتون والخل، وكذلك العسل وما شابههما، أنها يضمها سوق واحد، ولا نعرف إن كان زقاق أصحاب الشيرق يقع عند أحد ابواب الحرم، وهو باب السمّانين، أم غير ذلك.

كما نجد سوق التّمارين[64]، وزقاق التّمارين[65]، وسوق الرّطب[6] ومع أن التّمر والرّطب مادّة واحدة، إلا أنّ الرّطب يقصد به ثمرة الموسم الطّريّة، بينما التّمر اسم عام للطّري وغير الطّري، إلا أنه أكثر ما يطلق على غير الطّري؛ لذا نعتقد أنه رغم اختلاف الاسم، فسوقهما واحد.

(للكلام صلة)

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ

الهوامش

(١) الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت ٢٤٤هـ/٨٥٨هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت (د.ت) ٦٢/٢، ٢٩؛ الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت بعد سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥هـ): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ٢٠٧/٤.

(٢) الأزرقي، ٢٥٣/٢، ٢٩٤؛ الفاكهي، ٢٠٦/٤. (٣) الأزرقي، ٦٢/٢، ٨٠

(٤) الأزرقي، ٢٩١/٢؛ الفاكهي، ١٩١/٤.

(٥) ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٦١؛ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١/٢٨٢، وقد ورد في شعر العرجي:

يا ليت سَلْمَى رأتنا لا نزاع لنا لما هبطنا جميعًا أبطح السوقِ

الأصبهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م): كتاب "الأغاني"، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ح٢/٣٠٣. وحدد الفاكهي ج٣/٧٩ الأبطح بقوله: (ما بين مسجد الحرس إلىحائط خرمان) وعلق محقق كتاب الفاكهي عبدالملك بن دهيش بأنه في الوقت الحاضر من مسجد الجن إلى الخرمانية، وقد أقيم على جزء كبير من حائط الخرمانية مبنى أمانة العاصمة.

(٦) الأزرقي، ج٢/٩٨، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٦٥؛ الفاكهي، ج٢/٨٨، ١٨٩.

(٧) الأزرقي، ج٢/٢٤٢. (٨) ابن حبيب، المنمق، ص٦١.

(٩) الأزرقي، ج٢/٢٣٩.

(١٠) الفاكهي، ج٤/١٩٢-١٩٣، وعلق محقق الكتاب عبدالملك بن دهيش قائلاً: وهذا القرن لا وجود له اليوم، لأنه أزيل وقد صار موضعه جزءًا من ميدان باب الملك، وموضعه ما كان يعرف بزقاق البخارية يقع بين السوق الصغير وشارع المسيال... وقد شاهدته في ذالك الوقت.

(١١) الفاكهي، ج٣/٣٤٢، ج٤ ص ٢١٠. (١٢) الأزرقي، ج٢/٢٥٩.

(١٣) الأزرقي، ج٢/٢٥٩؛ ابن عبدالبر، يوسف بن عمر (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢/٥٧٣، (رقم الترجمة ٨٩٢).

(١٤) حميـد الله، محمـد: **الوثـائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ‍١٩٨٣م، ص٢٨٥.

(١٥) الأزرقي، ج٢/٢٥٥؛ الفاكهي، ج٣/٢١٧.

(١٦) الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): **كتاب المغازي**، تحقيق مارسون جونز، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٣/٩٤٣.

(١٧) العـلي، صـالح: "**الحجاز في صدر الإسلام**"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٥٥٨.

(١٨) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م): **مناقب أمير المؤمنين عمـر بـن الخطاب**، تحقيق زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٣.

(١٩) الأزرقي، ج٢/١٦٤.

(٢٠) ابـن الأثـير، عـلي بـن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الشعب، القاهرة، (د.ت)، ج٣/٢٨٩ (رقم الترجمة ٣٠٣١).

(٢١) الأزرقي، ج٢/٢٣٩.   (٢٢) الأزرقي، ج٢/٢٥٩؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٨.

(٢٣) ج٢/٢٦٢.

(٢٤) الكبيسي، حمدان عبدالمجيد: "**أسواق العرب التجارية**"، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٩.

(٢٥) الأزرقي، ج٢/٢٤٠، وينبغي ألا تلتبس دار الحناطين هذه التي تضم حوانيت لبيع الحـنطة والحبوب بدار الحنطة التي ذكرها الفاكهي، ج٣/٣١٢، وموقعها في دُبُر دار الندوة، وسميت كذلك لأن عبدالله بن الزبير إبان سيطرته على مكة وضع فيها الأرزاق التي كان يجريها بمكة.

(٢٦) الأزرقي، ج٢/٢٤٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٩٦، وانظر ج٢ ص١٧٠، ١٨٩.

(٢٧) الأزرقي، ج٢/٢٥٩؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٨ وعنده (دار شقيقة).

(٢٨) الأزرقي، ج٢/٢٣٩؛ الفاكهي، ج٣/٢٨٨، وذكر الأزرقي أيضًا ج٢/٦٥: "ودار الحدادين كانت لبعض بني عامر، فاشتراها معاوية وبناها"، ولعل معاوية جعلها في خلافته دار مال الله، ثم أصبحت بعد ذلك مجمعًا لحوانيت الحدادين.

(٢٩) الأزرقي، ج٢/٢٥٥؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٩.

(٣٠) الفاكهي، ج٣/٢٧٨.

(٣١) الفاكهي، ج٣/٣١٨.

(٣٢) الأزرقي، ج٢/٢٦٥.

(٣٣) الأزرقي، ج٢/٢٢٤، وقارن الفاكهي، ج٣/١٥٤، بركة الخياطين.

(٣٤) السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): "**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**"، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢/٧٥٠، ٧٥٢.

(٣٥) السمهودي، ج٢/٧٥٣.

(٣٦) الكبيسي، ص٤٢.

(٣٧) الفاكهي، ج٣/٢٨٩، وقارن الأزرقي، ج٢/٢٠١ (...سوق الغنم عند قرن مسقلة).

(٣٨) الأزرقي، ج٢/٢٠١، ٢٤٤، ٢٧٠، وعلق محقق الكتاب رشدي ملحس، (ج٢/٢٧١) قائلاً: (يقع سوق الغنم قديمًا في الوادي الواقع شرق جبل الرقمتين، ويسمى هذا السوق اليوم سوق الجودرية، ويوجد ثمة مسجد صغير يسمى مسجد الغنم...)، الفاكهي، ج٣/٢٨٤.

(٣٩) الفاكهي، ج٤/١٩١؛ وعند الأزرقي، ج٢/٢٦٦ (وحد المعلاة من زقاق البقر مصعدًا إلى (جبل) قعيقعان...).

(٤٠) الأزرقي، ج٢/٢٤٩؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٩، ٢٩٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٦١.

(٤١) الأزرقي، ج٢/٢٣٢؛ الفاكهي، ج٣/١٥٤.

(٤٢) الأزرقي، ج٢/٢٣٢؛ الفاكهي، ج٣/١٥٤.

(٤٣) الأزرقي، ج٢/٢٧٢؛ الفاكهي، ج٤/١٢١.

(٤٤) الفاكهي، ج٤/١٩٥، ٢١٠.

(٤٥) الفاكهي، ج٣/٣١٧.

(٤٦) الفاكهي، ج٢/٣٦٠. (٤٧) الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٤٨) الفاكهي، ج٣/٣٤٢.

(٤٩) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، (د.ت)، ج٦/٨٩؛ البابطين، إلهام أحمد: **"الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي"**، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٨٢.

(٥٠) ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ:١٢٢٨م): **"معجم البلدان"**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣/٢٢١ (سَعَد).

(٥١) الفاكهي، ج٣/٢٧٠. (٥٢) ياقوت، ج٢/٢٣١ (فاضح).

(٥٣) الأزرقي، ج٢/١٦٤. (٥٤) الأزرقي، ج٢/٢٥٢.

(٥٥) الأزرقي، ج٢/٢٥٨. (٥٦) ياقوت، ج٥/١٥٨ (المعمل).

(٥٧) البابطين، ص١٩٧-٢٠٢. (٥٨) الأزرقي، ج٢/٧٥، ٩٨، ٢٣٤.

(٥٩) الأزرقي، ج٢/٢٣٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٦٠) الأزرقي، ج٢/٢٣٤، ٢٣٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٦١) الفاكهي، ج٣/٢٧٨. (٦٢) الأزرقي، ج١/٣٠٦.

(٦٣) الأزرقي، ج٢/٢٣٤؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤، ٣٥٢.

(٦٤) الفاكهي، ج٣/٢٠٧. (٦٥) الفاكهي، ج٣/١٠٠.

(٦٦) الأزرقي، ج٢/٢٣٩.